

تمكين الأصوات رحلة جمعية سيدات الطفيلة في تعزيز الوصول إلى خدمات الصحة الإنجابية وحقوق المرأة

من خلال تفاعلها المستمر مع المجتمع المحلي، ونشاطها المتواصل في مجال المناصرة، حققت جمعية سيدات الطفيلة الخيرية، عبر مركز أمل للاستشارات الأسرية، ففزة نوعية في عدد الحالات المُحالة والمتعلقة بالصحة الإنجابية وحقوق المرأة. فقد أدى تنفيذ جلسات توعوية موجهة إلى ارتفاع ملحوظ بنسبة 30% في استخدام النساء لخدمات الخط الساخن الخاصة بهذه القضايا. ولأول مرة، سجل المركز استقبال ما بين 10 إلى 12 حالة شهرياً عبر الخط الساخن، مما يعكس تنامي الثقة في هذه الخدمات الأساسية والداعمة.

لم يكن هذا التحول محض صدفة، بل جاء نتيجة التزام الجمعية الراسخ بتوفير بيئة آمنة، وتوظيف كوادر موثوقة، وتقديم معلومات دقيقة يسهل الوصول إليها. وقد أسهمت هذه العوامل مجتمعة في خلق فضاءات مفتوحة للحوار حول قضايا الصحة الإنجابية وحقوق المرأة، مما مكّن العديد من النساء والعائلات من اللجوء إلى الخدمات التي يحتجنها دون تردد. وكان لحملات التوعية، والمبادرات الإعلامية، وبناء شراكات مع قيادات دينية، دور حاسم في تغيير الصور النمطية وتقليص الوصمة المرتبطة بهذه المواضيع.

وفي إطار برنامج "نحن نقود"، أنجزت الجمعية دراسة ميدانية عام 2023 بعنوان: "واقع الصحة الإنجابية وحقوق المرأة والخدمات المتوفرة في محافظة الطفيلة". هدفت الدراسة إلى قياس وعي النساء بمفاهيم الصحة الإنجابية وحقوق المرأة، وتحديد مزودي الخدمات الفاعلين، وتقييم سبل الوصول إلى تلك الخدمات وجودتها، بالإضافة إلى رصد مدى استجابتها لحالات العنف القائم على النوع الاجتماعي، ومدى رضا المستفيدات عن دور مؤسسات المجتمع المدني، والسلطات المحلية، والمؤسسات التعليمية في التوعية والتقديم الفعال للخدمات.

أظهرت نتائج الدراسة وجود حاجة ماسة لتعزيز التعليم الصحي وتحسين توافر الخدمات، إذ أشار 61% من النساء إلى صعوبات في معرفة أماكن المراكز والمؤسسات التي تقدم خدمات الصحة الجنسية والإنجابية. كما كشفت الدراسة عن فجوات هيكلية في النظام الصحي، من بينها نقص الكوادر المدربة، والحاجة إلى إشراك منظمات المجتمع المدني بشكل أكبر في جهود التثقيف الصحي.

بناءً على توصيات الدراسة، اتخذت الجمعية خطوات ملموسة لمعالجة الثغرات، لا سيما ما يتعلق بضعف وعي بعض مقدمات الخدمة بمفاهيم الصحة الجنسية والإنجابية، الأمر الذي انعكس سلباً على جودة الاستجابة لاحتياجات النساء والفتيات، خصوصاً في حالات العنف المرتبطة بالصحة الإنجابية. وللتصدي لهذا التحدي، نظمت الجمعية تدريباً متخصصاً لمقدمات الخدمة ركز على تعزيز الفهم العلمي والثقافي لهذه المفاهيم، وربطها بمبادئ الحماية والتعامل المهني مع قضايا العنف القائم على النوع الاجتماعي.

وقد عبّرت إحدى المشاركات في التدريب قائلة "الأول مرة أتلقى تدريبًا بهذا العمق، وأتعرّف على مفاهيم مثل الصحة الجنسية... كنت أسمع عنها، لكن لم أكن أعرف كيف أوصولها للسيدات بطريقة تتناسب مع ثقافتنا".

وأضافت أخرى "كنت أشعر بعدم الثقة عند التعامل مع النساء اللاتي يتعرضن لعنف مرتبط بالقضايا الجنسية أو الإنجابية، وكان الحديث في هذه المواضيع يسبب لي حرجًا، أما الآن فأشعر أن لدي أدوات ومعرفة تتيح لي دعمهن دون إصدار أحكام مسبقة".

فيما علقت ثالثة بقولها "لطالما كانت مواضيع الصحة الجنسية تُعتبر من المحرمات، وكان الحديث عنها مع المستفيدات أمرًا شائكًا... التدريب غير هذا التصور جذريًا".
أثمر هذا التدريب، الذي شمل 16 من مقدمات الخدمة في المراكز الصحية الشاملة، عن تعزيز ثقتهم بقدراتهن المهنية، ومكّنهن من التعامل مع الحالات الحساسة بوعي ومهارة أكبر، كما ساعدهن على الإحاطة بأماكن تقديم الخدمات الملائمة.

وقد أشاد رئيس قسم العنف في مديرية صحة الطفيلة بأهمية هذا النوع من التدريبات، مؤكّدًا أنها تسد ثغرة كبيرة في منظومة الحماية، وتعزز جاهزية الكوادر الصحية للتعامل مع حالات ترتبط بالصحة الجنسية والإنجابية والعنف المبني على النوع الاجتماعي.

استجابة لهذه المعطيات، عملت الجمعية على إعداد ورقة سياسات تهدف إلى تعزيز وعي ومهارات مقدمي الخدمات، وذلك في ضوء ما أظهرته التجربة من أن ضعف الفهم أو الحرج المرتبط بهذه القضايا قد يؤدي إلى إحجام النساء عن طلب المساعدة أو تلقي الدعم المناسب في الوقت المناسب. وتشكل هذه الورقة خطوة جوهرية نحو تطوير منظومة الخدمات الصحية لتكون أكثر شمولية وفعالية.

وفي إطار مقارنة شاملة، قامت الجمعية ببناء قدرات 8 ميسرات متخصصات في الصحة الجنسية والإنجابية، ما أتاح تنفيذ 124 جلسة توعوية استفادت منها 1900 سيدة من صاحبات الحقوق. كما نُظمت 14 ورشة تدريبية استمرت يومين لكل منها، بمشاركة 210 سيدة، وامتدت الجهود لتشمل تنفيذ 8 برامج تدريبية خصصت لأهالي اليافعين واليافاعات، وبلغ عدد المستفيدين منها 80 شخصًا.

ولأن 39% من السيدات أكدن أنهن يلجأن إلى الإنترنت للبحث عن معلومات متعلقة بالصحة الإنجابية، فقد أولت الجمعية اهتمامًا خاصًا للإعلام الرقمي. إذ جرى تطوير محتوى توعوي رقمي واسع النطاق، بلغ عدد المتفاعلين معه أكثر من 271,594 شخصًا، كما تم تدريب 40 قائدًا دينيًا على استخدام خطاب علمي وثقافي في مناقشة قضايا الصحة الإنجابية وحقوق المرأة، مما ساعد في بناء الثقة المجتمعية.

وخلال حملة الـ 16 يومًا لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي، نُفذت أنشطة إعلامية وتوعوية متخصصة تطرقت إلى قضايا العنف الجنسي والحقوق الإنجابية، وسُجل تفاعل تجاوز 144 ألف شخص، مما دل على حاجة المجتمع لهذا النوع من الخطاب التوعوي.

وقد أحدث هذا المشروع أثرًا تحويليًا في المواقف المجتمعية؛ فالموضوعات التي كانت يومًا من المحرمات، أصبحت اليوم تُناقش بصراحة، وباتت النساء أكثر جرأة في طلب الدعم ومواجهة القضايا التي تؤثر على صحتهم وكرامتهم. في إحدى الحالات، كانت سيدة مترددة في البداية في الحديث عن تصرفات زوجها، لكنها وجدت في النهاية الشجاعة لطلب المساعدة. كما شهد المركز حضورًا لافتًا من قبل الأزواج الذين بدأوا بمرافقة زوجاتهم إلى جلسات الاستشارات، واتسعت دائرة المستفيدين لتشمل العائلات التي تضم مراهقين أو أفرادًا من ذوي الإعاقة. وفي هذا السياق، قدمت الجمعية 240 جلسة دعم نفسي واجتماعي استفاد منها 111 شخصًا من صاحبات وأصحاب الحقوق، ما يعكس الأثر الإيجابي العميق لهذه الخدمات على رفاه النساء وأسرهن.

هذا النجاح ألهم الجمعية لتوسيع أنشطتها نحو آفاق جديدة، شملت تطوير محتوى رقمي إضافي، وإنتاج بودكاستات متخصصة، وتعزيز الحوار مع مؤثرين اجتماعيين، إلى جانب المشاركة في برامج لبناء القدرات الإعلامية من خلال شريكها الاستراتيجي، بودكاست "صدى"، الذي يمثل أحد أعمدة برنامج "نحن نقود".

من خلال بودكاست "وعي"، أطلقت الجمعية سلسلة حلقات تحمل عناوين مثل "بداية"، و"مساحة آمنة"، و"خلف الباب"، استعرضت فيها قصصًا واقعية، وتحليلات خبراء، ومضامين تعليمية تراعي الحساسيات الثقافية. وقد أنتجت سبع حلقات بودكاست، إلى جانب حلقتين إذاعيتين بالتعاون مع إذاعة جامعة الطفيلة التقنية، مما أسهم في تعميق الأثر المجتمعي وتعزيز التفاعل.

تُجسد تجربة جمعية سيدات الطفيلة نموذجًا فريدًا لقوة التعليم والحوار والمناصرة في إحداث تغيير اجتماعي مستدام. لم تكتفِ الجمعية بتحسين سُبُل الوصول إلى الخدمات، بل ساهمت في كسر حواجز ثقافية راسخة، وأسهمت في بناء مجتمع أكثر وعيًا وتمكينًا.

وفي ختام هذه المسيرة الملهمة، تدعو الجمعية منظمات المجتمع المدني، وصنّاع القرار، وقيادات المجتمع المحلي إلى مواصلة العمل المشترك لضمان أن تحظى كل امرأة، مهما كان وضعها، بالمعرفة والدعم الذي تحتاجه لتعيش حياة كريمة، آمنة، وصحية.